تخطيط وعمارة مسجد الزهراء في الاندلس في ضوء التنقيبات الاثرية

م. ضياء نعمة محمد

كلية الآداب/ قسم الاثار/ جامعة بابل

Planning and architecture of Al-Zahra mosque in Andalusia in the light of archaeological excavations

DHIA NEMA MOHAMMAD

Babylon University- college of Arts

deyahnemaa@yahoo.com

Abstrac:

The civilization of the Muslims spread to distant parts of the world, where they recorded architectural evidence to demonstrate the extent to which Muslims have achieved the skill of urban planning and architecture of buildings and decorations, and Possibilities in the formulation of the elements of local architecture with Islamic models, which is not evidenced by quoting only attempts by some Orientalists abstraction of art The city of Al-Zahra is one of the important evidences of the advancement of Islamic art and the extent of its brilliance, even if it distanced itself from its geographic boundaries, and according to it, to sing the beauty of poets even after the disappearance of its star.

One of the most important buildings is its mosque, the mosque, which has maintained its planning system without change or addition. It is based on the layout of the Great Mosque in Cordoba, which gives evidence that this planning is rooted in Islamic architecture. In the light of the explorer of it and the reshaped of its decorations

Keywords: mosque planning, architectural elements, overpasses ornaments

الملخص:

امتدت حضارة المسلمين الى اصقاع بعيدة من العالم, تاركتةً فيها شواهد عمارية تدلل على مدى ما وصل اليه المسلمون من براعة في تخطيط المدن و هندسة المباني وزخرفتها, وامكاناتها في صياغة عناصر العمارة المحلية بطرز اسلامية ليس فيها ما يدلل على اقتباسها الا محاولات بعض المستشرقين تجريد الفن الاسلامي من كل خصائصه ومميزاته وارجاعه الى نتاجات الحضارات السابق, ومدينة الزهراء واحدة من الشواهد المهمة على مدى رقي الفن الاسلامي ومدى تألقه حتى وأن ابتعد عن حدوده الجغرافية, وحسبها ان يتغنى بجمالها الشعراء حتى بعد افول نجمها.

ومن اهم مبانيها هو مسجدها الجامع الذي حافظ على نظام تخطيطه دون تغيير او اضافة, وجاء على نمط تخطيط الجامع الكبير بقرطبة, مما يعطي دليلا على ان هذا التخطيط هو متأصل في العمارة الاسلامية, وهو امتداد لنظام الصحن والظلات, وسنحاول الوقوف على تخطيطه وعناصره العمارية والزخرفية في ضوء ما ستكشف منه وما اعيد تشكيله من زخارفه.

الكلمات المفتاحية: تخطيط المساجد, العناصر العمارية, العقود المتجاوزة, الزخارف

المقدمة:

المسجد لغة اسم مكان، من الفعل سجد (1)، وهو اسم لمكان السجود وبالفتح اسم للمصدر، وهو جبهة الرجل حيث يضعه للسجود(2) وفي الشرع [المسجد هو كل موضع في الأرض لقول الرسول (ص) جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا] (3) وقيل المسجد هو كل مكان يسجد فيه ويتعبد وهو من الألفاظ الإسلامية التي لم تعرفها الجاهلية والاسم والمسمى جاء مع الدين الإسلامي ودالا على مصلى الجماعة (4).

وورد ذكر المسجد والمساجد في القران الكريم ثمانية واربعون مرة ما بين لفظة مسجد او المسجد الحرام او مصلى او البيوت، ولكل مرة مناسبتها (5)، كذلك لم تخلو الاحاديث النبوية الشريفة من الاشارات الى المساجد وفضلها واحكامها (6)، وكيف

ان المسلمين قد اهتموا بنظافة المساجد حيث كان الرسول محمد (ص) يهتم بنظافة المسجد حتى انه كان يكنس بيده الشريفة الغبار بجريدة (7).

وكان المسلمون في العصر الاسلامي الاول يقتصرون على استعمال كلمة المسجد لاماكن العبادة, فلما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية وزاد عدد المسلمين بزيادة من دخل في الاسلام من اهل البلاد التي فتحوها تعددت المساجد في البلد الواحد, كما تعددت الالفاظ التي تطلق اماكن العبادة فصبح هناك مسجد وجامع, والجامع هو نعت المسجد لأنه مكان اجتماع الناس ويطلق على المسجد الكبير, وهو الجامع الذي يؤم فيه الخليفة او من ينوب عنه المسلمين في صلاة الجمعة اي أن لفظة الجامع اصبح يطلق على مسجد الدولة الرسمي الذي كان يعرف باسم المسجد الجامع(8), التي تقام فيه الصلاة الجامعة في ايام الجمع والعيدين, اما المسجد فهو مسجد الاحياء في المدينة الاسلامية التي تقام فيه صلات الاوقات.

• جامع الزهراء:

التسمية:

أخذ هذا المسجد تسميته من تسمية المدينة التي شيد فيها, وهي مدينة الزهراء والتي قيل ان تسميتها جاءت تيمناً باسم احدى جواري الخليفة عبد الرحمن الناصر مؤسس المدينة, وتدعى بالزهراء(9), في حين ذكر البعض ان سبب التسمية جاء لكثرة ازهار بساتينها المحيطة بها, فكانت الزهراء صفة لهذه المدينة (10), والزهراء هو تأنيث الازهر, وهو الأبيض المشرق, والمؤنثة زهراء والازهر النير (11).

الموقع:

يقع المسجد الجامع في مدينة الزهراء*, في شرقي المدينة الوسطى, وان كان الادريسي يحدد موقعه في المدينة السفلى(الطبقة الثالثة), والواقع انه يقع بين المدينتين (الطبقة الثانية والثالثة) *, على شرفة تنخفض مستوى أرضيتها عن سطح المدينة الوسطى, ويصله بسطح القبلة (ساباط) (12), حيث يدخل اليه متجها نحو المقصورة للصلاة وهو يقع خارج الدائرة الملكية الخاصة بشرفة سطح القبلة (13) (لوح 1).

تاريخ واسباب تشييده:

شرع الخليفة عبد الرحمن الناصر* العمل في بناء المسجد الجامع بالزهراء في الثالث من رجب سنة (329هـ – 940م)(14), وكان الفراغ منه واكماله كما يشير المقري يوم الخميس "لتسع بقين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة " ومن الغد صلى فيه الناصر الجمعة "22 مايو 941م "(15), غير أن باسيليو مالدونادو يذكر في احد مؤلفاته عن المسجد, وطبقا لنقوش كتابية على المئذنة أعاد قراءتها من جديد اوكانيا خيمنث, فأنه يرجع لعام 945م– 946م وهو العام الذي انتهى فيه بناء المسجد, وهذا لا يتفق مع الرواية التي اوردها المقري والتي تقول ان المسجد أوتم بنيانه في مدة ثمانية واربعين يوما.(16).

اما سبب بناء المسجد فيبدو انه مرتبط بنفس اسباب تشييد المدينة التي ذكره المؤرخون والباحثون, حيث قيل ان سبب بناء الخليفة الناصر لهذه المدينة جاء عقب وفاة جارية له تركت مالا كبيرا فأمر أن يفك بهذا المال أسرى المسلمين في بلاد الإفرنج إلا انه لم يكن هناك اسرى. فطلبت منه جاريته الأخرى التي تدعى الزهراء ان يبني لها قصرا خاصاً بها، فاستجاب لرغبتها، وحقق لها رجاءها، وبنى مدينة الزهراء واتقن بناءها(17). في حين يرى البعض الاخر من المؤرخين أن الأسباب الرئيسة التي دفعت الخليفة الناصر الى هذا البناء رغبته في البناء والتشييد حيث مثل عصره الذروة العليا من الازدهار السياسي والاقتصادي والثقافي فأسس مدينة الزهراء إشباعاً لرغبته في البناء وتحقيقاً لمجده وعظمته وإظهارا لفخامة ملكه(18).

ويرى اخرون ان الخليفة الناصر وجد ان قصر الخلفاء داخل قرطبة لم يعد يتسع للمظاهر الكبرى التي تناسب عظمة دولته آنذاك، إذ تقاطرت الوفود على قرطبة في أيام الخليفة الناصر وما بعده حتى أواخر القرن الرابع للهجرة الذي مثل عصر سيادة قرطبة و مجدها الزاهر(19).

وقد يكون اوضح الاسباب واستنادا الى ما ذكره باسيليو من ان مخطط المسجد جاء صورة طبق الاصل (مصغرة) للمسجد الجامع في قرطبة, وبالنظر الى ان المسجد شيد بسرعة وفي فترة زمنية قصيرة, فهو محاولة لإرضاء المشاعر الدينية للسكان القرطبيين الذين اخذوا يعيشون في المدينة الجديدة خصوصا بعد ان رغبهم الناصر على السكن فيها, وهذا شاهد على ان الخليفة الناصر اراد منذ اللحظات الاولى اقامة مدينة شبيهة بقرطبة تكون المساحات المخصصة للمبان الملكية بها اكثر رحابة عن قرطبة(20).

المسجد في المصادر التاريخية:

جاء ذكر هذا المسجد في المصادر التاريخية, وبشكل خاص لدى المقري الذي اورد لنا كثير من المعلومات عنه نقلا عن ابن الفرضي وغيره, فيقول " أن مسجد الزهراء "بني واستتم بنيانه واتقانه في مدة من ثمانية واربعين يوما, وكان يعمل فيه " من حذاق الفعلة كل يوم الف نسمة, منها ثلاثمائة بناء ومائتا نجار وخمسمائة من الاجراء وسائر الصناع " (21)

وبلغ طول مسجد الزهراء من القبلة الى الجوف المسجد حوالي ثلاثون ذراعاً(22) حاشا المقصورة(23) وعرض البهو(24) الاوسط من ابهائه من الشرق الى الغرب ثلاثة عشر ذراعاً(25).

أما صحن المسجد المكشوف طوله من القبلة إلى الجوف ثلاثة واربعون ذراعاً، وعرضه من الشرق الى الغرب حوالي احدى واربعين ذراعا وفرشت أرضه بالرخام الخميريّ(26), وعمل في وسطه نافورة يجري فيها الماء، أما صومعة (مأذنته) المسجد عرضها عشرة أذرع في مثلها، وطولها في الهواء اربعون ذراعاً(27).

وقد أمر الخليفة الناصر لدين الله ببناء منبر بديع لمسجد الزهراء فصنع في غاية الحسن ووضع في مكانه وحظرت حوله مقصورة، وكان وضع هذا المنبر في مكانه من هذا المسجد عند اكماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنةهـ/ 941م. (28) "، وعندما كمل الجامع صليت فيه أول صلاة جماعة صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان سنة 329هـ/941م"(29)

ويستدل مما رواه ابن الفرضي على ان محراب المسجد كان بارزاً خارج جدار القبلة وأن المقصورة كانت كذلك خارجة عن بيت الصلاة من جهة القبلة، وان بلاطات المسجد كانت معقودة ذات عقود وتيجان عجيبة الصنعه، ومن الملاحظ أنّ جدار القبلة غريبة ولاسيما من منطقة المحراب، حيث ألتصقت به صفان من الدعامات، وذلك أنّ أحد الصفين غير ضروري من الناحية المعمارية ولعل ذلك راجح إلى تخطيط مهندسي المسجد عندما وضع الأساس ثم أضاف إليه مقصورة أو ساباط فوضع أسس لجدار القبلة على بعد خمسة أمتار، جنوب الأسس الأولى، وأقام بين الجدارين مقصورتين خصصت الشرقية إلى داخل بيت الصلاة بجوار المحراب، وباب آخر يؤدي إلى المقصورة الشرقية إلى خارج المسجد (30)، ويستدل كذلك على انه كانت تحف ببهو المسجد مجنبتان, واحدة شرقية وواحدة غربية, وان عرض كل منها تعادل عرض البلاطة المتطرف من بيت الصلاة 49, واخيرا يستدل على ان قاعدة المئذنة كانت مربعة (31).

التنقيبات في المسجد: (لوح 2)

جرت الحفائر في هذا المكان بين عام 1964م وعام 1966م, وكان اكتشاف المسجد ذا اهمية كبيرة لدارسة المراحل التاريخية والاسلوبية للفن في هذه المدينة, فهو اقدم مبنى مزخرف فيها, ومن جهة اخرى ففيما يتعلق بالعمارة الدينية نجد انه يمثل نقطة انتقال بين المسجد الذي شيد على عصر الامارة في قرطبة وبين التوسعات التي جرت خلال حكم عبد الرحمن الثالث والحكم الثاني والمنصور بن ابي عامر(32).

تم تنظيف مسجد الزهراء تماما, وكان يشرف على اعمال الحفر ويوجهها المهندس الاثري هرناندیث خمینیث, كما ان المهندس باسيليو بابون قام بالدراسات المعمارية, واستطاع ان يميز بين ما يتصل بمادة البناء وما يرتبط بالجانب الزخرفي,, ويلاحظ ان اروقته المدفونة تتجه صوب الجنوب الشرقي, وهذا مالا يتوافق مع الممر الجنوبي الشمالي الذي يطل عليه القطاع الملكي (الطبقة الاولى), بعد ذلك جرت حفائر الى جوار المسجد تم فيها الكشف عن الميضأة وهي تكاد تلتصق بسور الشرفة

الملكية, ويرى باسيليو ان مخطط المسجد الجامع في مدينة الزهراء والمتأثر بمسجد قرطبة هو الشيء الوحيد الذي يتسق مع المخططات العربية.(33)

و وجدو في سقيفة الصحن بقايا محروقة من حصائر من الحلفاء, وعمق البلاطات الخمس الداخلية مبلط ببلاط أحمر ولكن بقيتها تشبه الارض (34) (لوح 3).

مخطط المسجد: لوح (4)

تخطيط المسجد مستطيل الشكل (253,74× 34,03م), وهو صورة طبق الاصل للمسجد الجامع في قرطبة, وهو يتكون من صحن مكشوف محاط ببوائك ثلاث, كما ان العقود المركزية لكل منها اوسع من باقي العقود, أضافة الى المئذنة والمنطقة المسقوفة المكونة من خمسة بلاطات عامودية على جدار القبلة, وقد جرى وضع اعمدة هذه الاروقة الخمسة على اساسات متصلة. وتم تخطيط ابواب جانبية متقابلة على اضلاع كل من الصحن والمنطقة المسقوفة, كما نجد في الصحن بابا في وسط الحائط الخاص بالمدخل, وتحديدا في المحور المركزي للمسجد وهو باب في الجهة الشرقية أقيمت الى جواره مئذنة مربعة المخطط بطول خمسة امتار لكل ضلع, ولها طابقان (لوح 13), وقد شيد المسجد على شكل حصن (35), وكانت اسوار المسجد عريضة يبلغ سمكها مترا ونصف المتر, وكانت تلتصق بها دعامات ضخمة مربعة القاعدة, ضلعها يعادل سمك الجدار, سبع منها في كل من الجدارين الشرقي والغربي, واربع اخرى ضخمة في كل من اركان الجداران الاربعة, وثلاث كبرى في جدار القبلة, والوسطى منهما تقابل المحراب, وهي اكثر بروزا (36).

بيت الصلاة يمتد طولا من الشرق الى الغرب 34مترا, و25مترا من جدار القبلة الى حافة البهو. وكان المحراب مجوفا على شكل دخله نصف دائرة قطرها اربعة امتار. وكان بيت الصلاة هذا يشمل خمسة بلاطات, تتجه نحو المشرق بدقة, عرض كل من البلاطتين المتطرفتين ستة امتار ونصف, وعرض بلاطة المحراب سبعة امتار, أي يزيد نصف مترا تقريبا عن عرض كل من البلاطتين المتطرفتين. وكانت هذه البلاطات تفصلها اعمدة تحمل عقودا فوق سواري من الرخام ذات لونين وردي ويليه ازرق وهكذا على التناوب, وتيجان الاعمدة قسم منها بسيط واخر مزخرف (لوح 10), وبقيت زخارف العقود, وابواب الدخول شبيهة بما عليه في بقية اجزاء المدينة (37), اي انها على غرار ما وجد في قصور المدينة وهي تأخذ شكل العقود المتجاوزة المنفوخة المكونة صنجاتها من لونين احمر وابيض (لوح 7), عدد الاعمدة في كل صف تسعة اعمدة, وتجتاز كل صف منها ثمانية أساكيب. عرض كل أسكوب منها ثلاث امتار تقريبا.. ولم يكن في بيت الصلاة ابواب تؤدي مباشرة الى خارج المسجد(38), وهي على غرار بيوت الصلاة في المساجد الاسلامية الاخرى بغية عدم الدخول لها اثناء الصلاة وقطع صفوف المصلين باعتبارها سنة أن لا يتخطى المارة صفوف المصلين.

وكان للمسجد صحن طوله من حدود بيت الصلاة الى جدار المؤخرة 29مترا, وعرضه من شرق الى غرب 21مترا, وكان يحف به مجنبة عن شرقيه واخرى عن غربية, بكل منهما رواق واحد عرضه يعادل عرض البلاطة المتطرفة المؤدية اليها. واغلب الظن انه كان يتوسط كل من المجنبتين الشرقية والغربية مدخل يؤدي الى صحن المسجد, و كان يتوسط جدار المؤخرة باب كذلك يؤدي من الخارج الى المسجد بقرب المأذنة, والتي كانت تنتصب ملاصقة لهذا الجدار, والتي كانت قاعدتها مربعة, يبلغ ضلعها خمسة امتار ونصف المتر 52(39), واعتماداً على العديد من النقوش الكتابية التي تم انتشالها من الصحن أمكن قراءة اسم عبد الرحمن الناصر واسم المشرف على الاعمال "سعيد بن " (40)

ويبدو من دراسة تخطيط المسجد ان اسس جدار القبلة غريبة, وخاصة في منطقة المحراب, فقد التصق بها صفان من الدعامات, ليست لصف منها ضرورة معمارية. وتفسير ذلك هو ان المهندس خطط المسجد ووضع اسسه, ثم طلب منه ان يضيف اليه مقصورة وساباط, فوضع اسسا جديدة لجدار القبلة, على بعد خمسة امتار جنوبى الاسس الاولى, واقام فيما بين الجدارين مقصورتين, الشرقية منهما لأمام المسجد, والغربية للخليفة, وفتح في كل منهما بابين, باب يؤدي الى داخل بيت الصلاة بجوار

المحراب, وباب يؤدي في المقصورة الشرقية الى خارج المسجد, وفي المقصورة الغربية الى الساباط. وكانت مساحة كل مقصورة من هاتين المقصورتين اثنى عشر مترا طولا وخمسة امتار عرضا (41).

العناصر العمارية للمسجد:

نظراً لوقوع المسجد في الطبقة السفلى من المدينة فقد كان عرضةً لعمليات القلع لكثير من عناصره العماريه ومواده البنائية من قبل الاهالي, مما ادى الى فقدان المسجد لكافة معالمه البنائية وبقاء الاسس فقط, هذا فضلا عما تعرض اليه من عملية تخريب وحرق على يد القبائل البربرية بعد سقوط الخلافة, لذ كان الاعتماد على معرفة عناصر المسجد المعمارية من خلال محاولة تركيب الاجزاء الباقية بين انقاض البناء ومقارنتها مع مثيلاتها مما عثر عليه من بقية اثار المدينة وخصوصا في مجالس وقصور الخليفة الناصر, وكذلك بمقارنتها مع العناصر المعمارية لمسجد قرطبة والذي جاء الجامع نسخة مصغرة عنه كما أشرنا سابقا. ومن اهم العناصر المعمارية للمسجد هي:

1- **العقود:** العقد هو العهد و الميثاق والإيمان(42), وقيل العَقْد: الجمع بين أطراف الشيء(43)، ومصطلح العقد يعني لدى البنائين القوس المعقود من الحجارة بعضها ببعض(44). اما انواع العقود المستخدمة في هذا المسجد فهي العقود المتجاوزة المنفوخة وذلك استنادا الى ما تم العثور عليه من صنجات لهذه العقود بين انقاض بيت الصلاة وجرى اعادت ترسيمها من قبل المهندس باسيليو (لوح 8), حيث تظهر العقود مكونة من خمسة عشر صنجة لتشكل عقد متجاوز, ويبدو ان هذا النوع من العقود هو الذي كان مستخدماً كذلك في البوائك المطلة على الصحن والتي اعاد ترسيمها كذلك المهندس المذكور (لوح 9). لقد عثر على قطع لعقود كبيرة وصغيرة من الحجر الرملي وهي تعود لعقود وبوائك وكانت صنجاتها ملساء(45), واهم ظاهرة في زخرفة هذه العقود هي كانت صنجاتها موضوعة بالتبادل بحيث تكون واحدة مزخرفة واخرى ملساء.

2- **الاعمدة:** يعرف العمود في المصادر اللغوية العربية بانه الاستقامة في الشيء ممتداً أو منتصباً، سواء أكان من الحجر, أم الآجر, أم اللبن, أم الخشب, أم جذوع النخيل(46), وعمارياً يُعرّف بأنه عنصر إنشائي قائم يمتد بصورة مستقيمة ذو قطاع مضلع او دائري, وجِد لحمل الاثقال ويُصمم قياس قطاعه على وفق الثقل الواقع عليه(47). والعمود هو ما يدعم به السقف او الجدار(48).

لقد عثر في المسجد على ما يقرب من 185 قطعة من ابدان الاعمدة ذات احجام مختلفة, وقد تراوحت اقطارها بين 14سم و 11سم و9 سم, ومن خلال اشكل الابدان الباقية بين الانقاض وكذلك بقايا قواعدها وتيجانها ذات الحافات الدائرية, جرى ترسيم اشكالها بحيث صورت بالشكل الاسطواني الرشيق, وقد اختلفت الوانها بين الوردي والازرق(49) (لوح 11).

اما تيجانها فقد كانت من النوع المركب من لفائف متطورة, وهما بشكل سلة اما الطبلية فهي ملساء, وقد زخرفت الكثير من التيجان في طبلاتها بخطوط غائرة ودوائر باستخدام الفرجار والمثلث(50), وهناك تيجان مركبة عثر عليها في المسجد تتسم بالإيجاز في العناصر الزخرفية المسماة بالأشرطة الضيقة السنبلية (لوح 10 – أ), المشطوفة الواجهة وفراغات, وهناك تاج عمود محفوظ في متحف لندن له طابع اكلاسيكي اعتقد انه روماني الا انه يحمل نص كتابي كوفي وقد ارجعه البعض الى فترة الامارة, في حين ارجعه اخرين الى مدينة قرطبة (51) (لوح 10 – ب).

اما قواعد الاعمدة فقد عثر على قواعد تيجان كثيرة كان البعض منها خالي من الزخرفة والبعض الاخر كان مزخرف مزخرفة (52) (لوح 7).

3- **الدعامات:** أما الدعائم فهي جمع دعامة ودَعَم (بكسر الدال وفتح العين) فهي العماد يُستند إليه ليُستَمسك به وجمعها دعائم(53), وقد استخدمت الدعامات في مسجد الزهراء بعدت اشكال ولأغراض متعددة, فقد استخدمت كركائز لإسناد الجدران الخارجية للمسجد, كما استخدمت في داخل المسجد, حيث امتدت اربعة دعامات بشكل عرضي من الشرق الى الغرب لتحديد بيت الصلاة عن الصحن, وهي مستطيلة الشكل تحمل بائكة من العقود المطلة على الصحن من جهة بيت

الصلاة, و امتازت بكون اقسامها العليا نحتت على هيئة التاج في الاعمدة (لوح 12), وهناك بائكتان تقعان في جانبي الصحن من جهة مؤخرة المسج كانت على شكل حرف T وهي مشابه لما موجود في مسجد قرطبة.

مئذنة المسجد:

تقوم مأذنة المسجد على قاعدة مربعة الشكل طول ضلعها (5م) ويقوم فوقها بدن مضلع يصل ارتفاع المأذنة الى (20م), (40 ذراعا طبقا للمقري) وهي بنفس مقاسات مئذنة مسجد قرطبة القديمة, وقد قام المهندس فليكس اير ناندیث بإعادة بناء تلك المئذنة المربعة بقياس (8,48 م) لكل ضلع مستنداً في ذلك على وصف المؤرخين العرب (المقري), وهي مكونة من طابقين, واضاف اليها هيكل معدني على شكل ثمار الرمان وزهور السوسن, عثر على نص يرجع الى عصر الناصر خاص بمنار المسجد (945م)(54), وهي مكونة على هيئة برجين متراجعين على غرار مآذن المغرب, ويعلو كل حافة برج شرفات مسننة متدرجة هرمية الشكل. (لوح 13)

العناصر الزخرفية:

تنوعت العناصر الزخرفية التي كانت تزين هذا المسجد من زخارف هندسية ونباتية وكتابية, الا ان هذه الزخارف لم يعثر على اغلبها في اماكنها الى جزء بسيط منها, حيث وجدت مبعثرة في ارضية المسجد, وهي تمثل اجزاء من صنجات العقود والبوائك, واجزاء من تيجان الاعمدة واشرطة وشرافا, اضافة الى كسوات جصية تغلف الجدران, وهي كالتالي:

1 – **الزخارف الهندسية:** تحتل الزخارف الهندسية أهمية كبيرة في الفن الاسلامي, اذ انتشرت في كل ارجاء العالم الاسلامي, واصبحت في بعض الاحيان العنصر الرئيسي الذي يغطي مساحات كبيرة من العمائر تضمنت العديد من العناصر الهندسية والخطوط المتداخلة والاطباق النجمية (55), المقصود بها استخدام الأشكال الهندسية المستوية أو المجسمة المرسومة بالمقاسات، مكونة عناصر ووحدات زخرفية على التحف والمباني، وقد تمتزج الزخارف الهندسية بالزخارف النباتية والحيوانية والكتابية مبالغة في تزيينها وإظهار جمالها على الوجه الأكمل (56).

وقد وظفت الزخارف الهندسية في مسجد الزهراء مع الزخارف النباتية في تشكيلات زخرفية متعددة, حيث تكونت بفعل حركة الاغصان النباتية اشكال هندسية مثل الدائري والبيضوي (لوح 14, ب و ج), الى جانب اشكال هندسية اخرى كان الشكل الهندسي يمثل القاعدة في الزخرفة وتملا أطره بالزخارف النباتية وخاصة الاشكال النجمية الثمانية (الوح 14, أ, ع, ق, ك), فظلا عن الاشكال الهندسية التي جاءت بشكل اشرطة من مثلثات ضيقة (الواح 14 ن).

2– **الزخارف النباتية:** المقصود بالزخارف النباتية هي كل زينة او حلية زخرفية تعتمد في رسمها او نقشها على عناصر النبات واجزائه وبمختلف اشكاله وصوره سواء أكانت طبيعية ام محورة بعيدة عن طبيعتها(57).

كان مساحة الزخارف النباتية اوسع من بقية الزخارف في المسجد, حيث وجد منها اجزاء كثيرة كانت في الاصل تغطي واجهات البوائك والعقود والجدران وحتى الاعمدة والتيجان, ومن اهم الاشكال النباتية التي نفذت في هذه الاجزاء هي الاوراق الثلاثية الفصوص ورباعية (لوح 14, ب, ج) والمراوح النخيلية الثلاثية والخماسية (لوح 14, ل, ك, م, ن), ال جانب انواع من الاغصان في اشكال ملتوية ومنحنية ومستديرة امتازت بسمكها (لوح 14, ب, ج), وكذلك اشكال السنابل وسعف النخيل, واشكال من الورود الخماسية البتلات (لوح 14, أ).

– **الزخارف الكتابية:** أن الزخارف الكتابية من أوضح مميزات الفنون الإسلامية عامة, اشتركت فيها أمم الإسلام كلها كما استعملها الفنانون في شتي العمائر والآثار الفنية (58), وقد ساعدت طبيعة الخط العربي وأشكال حروفه علي ما يتميز به من الحيوية والمرونة(59), وقد عثر على بعض النصوص الكتابية ضمن زخارف المسجد, ومما يؤسف له انها لم تكن نصوص كاملة بل اجزاء تقتصر على بعض الاسماء والعبارات القرآنية, وقد عثر على بعضها في صحن المسجد (لوح 15, أ), وعلى البعض الاخر في اسس المأذنة. (لوح 15, ب)

الخلاصة:

من خلال ما تقدم نجد ان مسجد الزهراء يعتبر من المساجد المهمة في العمارة الاسلامية كون هذا المسجد حافظ على تخطيطه الاول ولم يحدث عليه تغيير او تم تحويله الى كنائس او كاتدرائيات كما حدث لبقية المساجد في الاندلس, لذا فهو يوثق لنا نظام تخطيط المتبع في تلك المساجد خلال فترة الامارة والخلافة, ويتمثل هذا النظام نظام المساجد الاولى المتبع في العالم الاسلامي وخاصة في الشرق في الجزيرة العربية والعراق والشام وكذلك شمال افريقيا مصر وتونس والمغرب, ويتمثل بصحن مكشوف تحيط به اربعة ظلات اكبرها بيت الصلاة والذي يقسم الى أساكيب وبلاطات بواسطة صفوف البوائك, وقد حاول بعض المختصين الاسبان ارجاعه الى تأثير العمارة القوطية وانه تأثر بتخطيط الكنائس فيها مستندين الى شكل البلاطات التي امتدت بوائكها بشكل عمودي على جدار القبلة. وبنفس الوقت كان لما كشف عنه من اسس مئذنة المسجد دور كبير في توضيح مدى تأثير مآذن المغرب وشمال افريقيا على شكل مآذن الاندلس وليس كما يتصور البعض من ان ابراج الكنائس هي النموذج الذي اخذت عنه مآذن الاندلس.

المصادر

1-ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري المتوفى (711هـ)، لسان العرب المحيط، بيروت، دار صادر، الجزء الرابع، 1956، ص247.

2- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله المتوفى (794هـ)، اعلام الساجد بأحكام المساجد، مصر، دار الكتب المصرية، (1376هـ/1957م)، ص420-427.

3-الترمذي أبو عيسى، محمد بن عيسى؛ سنن الترمذي [الجامع الصحيح]، دار الفكر، بيروت، 1974، ص199.

4-المقريزي: تقي الدين احمد بن علي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دار التحرير للطبع والنشر، نشر محمد مصطفى زيادة، القاهرة،،1967 ح2، ص246. شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر، المطبعة الثقافية، ج1، القاهرة، 1970، ص55 ؛ مؤنس، حسين: المساجد عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص56.

5-مؤنس، المصدر السابق, ص11.

6-الزركشي, المصدر السابق, ص 420.

7-مونس, المصدر السابق, ص 27.

8-الحموي, شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت, معجم البلدان, دار صادر, بيروت, 1957م, ج3, 161).

9-المقري, احمد بن محمد التلمساني, نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب, تحقيق احسان عباس, دار صادر بيروت, 1988م ج2, ص 97.

10- سالم, عبد العزيز, قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس, دار النهضة, بيروت, 1971م, ج1, ص 251.

11-الحموي, المصدر السابق.

* تقع مدينة الزهراء في الجهة الغربية من قرطبة ينظر: الادريسي، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ / 1164م), نزهة المشتاق في اختراق الأفاق (قطعة بعنوان صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس)، نشر: رينهارت دوزي ودي غوية، ليدن، مطبعة بريل، 1968، ص212 (25)، وتبعد عنها مسافة خمسة أميال (8.045 كم) ؛ في موضع يعرف قديما باسم قوقريط على سفح جبل العروس المعروف بكثرة زرعه وجمال رياضه وبساتينه, وقد عرف هذا الموقع لدى المؤرخين الاسبان في القرون الوسطى بالمنطقة التي تعرف به قرطبة القديمة ينظر ينظر: العذري، احمد بن عمر بن انس (ت 478هـ / 1085م), نصوص عن الاندلس (من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الأثار) تحقيق: عبد العزيز الاهواني،

مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965 ص123 ؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الاندلس، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988, ج 437/2.

* تشغل مدينة الزهراء مساحة 113 هكتار (452ونم) ويبلغ طولها من الشرق أي الغرب (1518م) وعرضها من الشمال الى الجنوب (745م) ويحيط بها سور مزدوج يبدو بشكل ارتفاعات متوازية يحدد شكلها وهو بشكل جدارين بينهما ممر وعليه ابراج للدفاع, الا ان القسم الاوسط من السور الشمالي يتكون من سور واحد وعليه برج للحراسة والمراقبة أظهرته التنقيبات, ولم يكشف عن ابراج الزوايا ينظر: العزي, نجلة اسماعيل, قصر الزهراء في الاندلس, مديرية الاثار العامة, بغداد, 1977م, 19. وقد اورد الادريسي وغيره وصفاً للمدينة وقال بأنها مدرجة البناء مدينة فوق مدينة ولكل منها سوره, فكان الجزء الاعلى قصوراً, والجزء الاوسط بساتين وروضات, والجزء الثالث به الديار والجامع ينظر: الادريسي, ج2, ص65؛ وقد جاء هذا الوصف مطابقاً لما كشفت عنه التنقيبات الاثرية.

12- فكري, احمد: قرطبة في العصر الاسلامي تاريخ وحضارة, مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر, الاسكندرية, 1983م, ص 213.

13-مالدونادو, باسيليو بابون: العمارة الاسلامية في الاندلس, عمارة القصور, مجلد الاول, ترجمة علي ابراهيم, مراجعة, محمد حمزة, الطبعة الاولى, المركز القومي للترجمة, القاهرة, 2010م, ص 45, 61.

* عبد الرحمن الناصر: هو ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم, أمه كانت جارية إسبانية ام ولد تسمى مزنة, ينظر: المراكشي, عبد الواحد بن علي, المعجب في تلخيص اخبار المغرب, تحقيق سعيد العريان, ط القاهرة, 1963م, ص 54 ؛ تاريخ الاندلس, المؤلف مجهول, دراسة وتحقيق الدكتور عبد القادر ابو ديه, دار الكتب العلمية, بيروت لبنان, ص 1971م, ص 4.

14- المقري, المصدر السابق, ج2, ص48؛ عنان,, محمد عبد الله، دولة الإسلام في الاندلس، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988, ج 438/2 ؛ فكري, المصدر السابق, ص 215.

15- المقري, المصدر السابق, ج2, ص 101.

16-مالدونادو, المصدر السابق, ص 139.

17-المقري, المصدر السابق, ج2, ص55 ؛ سالم, المصدر السابق, ج1, ص233.

18-المقري, المصدر السابق, ص 82 ؛ عنان, المصدر السابق, ج2, ص 437؛ مرزوق, محمد عبد العزيز, الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس, دار الثقافة, بيروت, بدون تاريخ, ص45.

19-ابن عذاري, ابو العباس احمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان وليفي بروفنسال، ط2، بيروت، دار الثقافة، 1980, ج2, ص213- 218؛ المقري, المصدر السابق, ج1, ص 289-299.

20-مالدونادو, المصدر السابق, ص 53 و 139.

21-المقري, المصدر السابق, ج2, ص 100.

22-الذراع: هو الأرض وصرفته القسامة، ويعني أيضاً الشي بذراع اليد، مجموع عرض كل (6) شعيرات يسمى أصبعاً والقبضة على (4) أصابع والذراع (6) قبضات وكل (10) أذرع تسمى (قصبة) وكل (10) قصبات تسمى أشلاً وقد سمى مضروب الأشل في نفسه جريباً ومضروب الأشل في القصبة ومضروب الأشل في الذراع شبراً فحصل من هذا أن الجريب (10) آلاف ذراع, الذراع يختلف عند المذاهب فمثلاً الحنفية (46.375 سم) والمالكية (53 سم) والشافعية والحنابلة61.834سم، ينظر: الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج2، ص272؛ الفيومي، أحمد بن محمد المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، موقع الوراق، (د-ت)، ج2، ص104.

23-المقصورة، جمع مقاصر، وهي السياج الخشبي الذي يحيط بكل المحراب والمنبر في مقدمة المسجد في المنطقة المخصصة للإمام، وهي تعني الدار المحضنة الواسعة وهي أصغر من الدار ينظر: ابن منظور، لسان العرب،ج5، ص95.

24-البهو: مرادف لكلمة البلاط، ويعني جناح مسقف لأي بناء، ينظر: البكري،ابن عبد الله بن عبدالعزيز، (ت 487هـ)، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، بيروت، (د-ت)، ج1، ص24؛ ابن بسام، ابو الحسن علي، (ت 542هـ)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تح: أحسان عباس، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1979، ق1، مج1، ص110، ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن سعيد،(ت776هـ)، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح: محمد عبدالله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة،1981،ج1، ص23.

25- المقري، المصدر السابق، مج 2، ص100.

26- رخام خميري، وهو رخام تميزت به قرطبة، المقري، نفح الطيب، مج1، ص201.

27-المقري، المصدر السابق،ج1، ص 564 ؛ الكيالي، سامي، في الربوع الاندلسية، مكتبة الشرق، حلب،1968، ص106.

28- المقري، المصدر السابق،ج1، ص564-565.

29-المصدر السابق نفس

30-فكري, المصدر السابق، ص215.

31-المصدر السابق, ص 216-218.

32-مالدونادو, المصدر السابق, ص 139.

33-المصدر السابق, ص 66.

34-شاك, فان, الفن العربي في اسبانيا وصقلية, ترجمة الطاهر احمد مكي, دار المعارف, مصر 1980م ط1, ص 216.

35-مالدونادو, المصدر السابق, ص 140.

36-فكري, المصدر السابق, 216.

37-شاك, المصدر السابق, ص 216.

38-فكري, المصدر السابق, ص 217.

39-المصدر السابق نفسه.

40-مالدونادو, المصدر السابق, ص 79.

41-فكري, المصدر السابق, ص 218.

42-الأصفهاني، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن العماد (ت 597 هـ / 1200 م), مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق صفوان عدنان داوودي، بيروت, ط1,1996, ص577.

43- الاصفهاني, المصدر السابق, ص 577 ؛

44-البستاني، بطرس, محيط المحيط، بيروت, 1987م,ج 2, ص1437.

45-مالدونادو, المصدر السابق, ص 107.

46-ابن زكريا, احمد بن فارس(ت 395هـ): معجم مقايس اللغة, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, ط 1, مطبعة مصطفى البابي الحلبي, القاهرة, 1366هـ, 1946م، ص137.

47-47- Wilson, F., Structure: the Essence of Architecture, studio Vista, London, 1977, p36

48- وزيري، يحيى: العمارة الاسلامية والبيئة، مطابع السياسة، الكويت، 2004م, ج 2, ص49.

49-مالدونادو, المصدر السابق, ص97.

50-المصدر السابق, ص 93.

51–المصدر السابق, ص95.

52–المصدر السابق, ص 98.

53–ابن الرامي, ابو عبدالله محمد بن ابراهيم التونسي البنّاء, الإعلان بأحكام البنيان, تحقيق: عبد الرحمن بن صالح الأطرم, دار أشبيليه, الرياض 1995, ص 162.

54–مالدونادو, المصدر السابق, ص 147, 101.

55–الشرقاوي, داليا احمد فؤاد, الزخارف الاسلامية والاستفادة منها في تطبيقات زخرفية معاصرة, جامعة حلوان, 2000م, ص 2.

56–الجنابي، كاظم، حول الزخارف الهندسية الإسلامية، سومر، بغداد، ج (1–2)، م(34)، 1987. ص45.

57–المصدر السابق, ص 143.

58–حسن, زكي محمد: فنون الإسلام – دار الكتب المصرية – 1937 – ص 234,

59–مرزوق, عبد العزيز: الفن الإسلامي في العصر الأيوبي – المكتبة الثقافية رقم 80 – ص 22.

الالواح

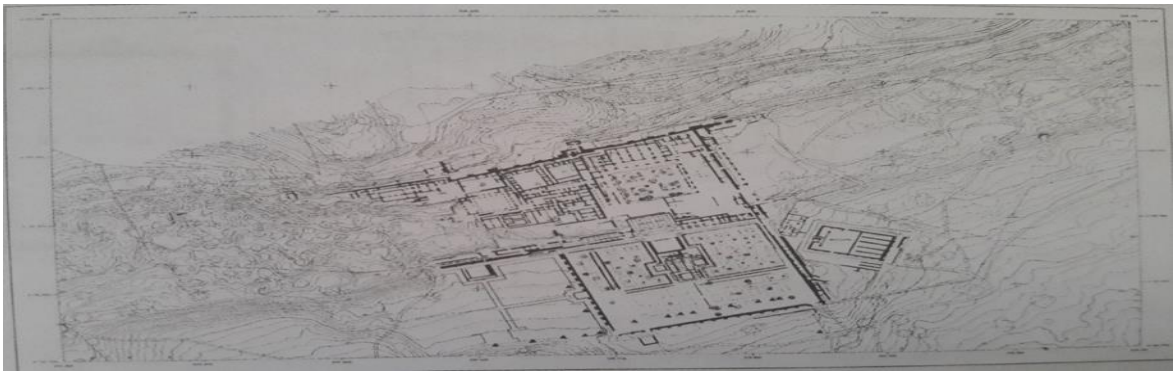

لوح –1– موقع المسجد في المدينة

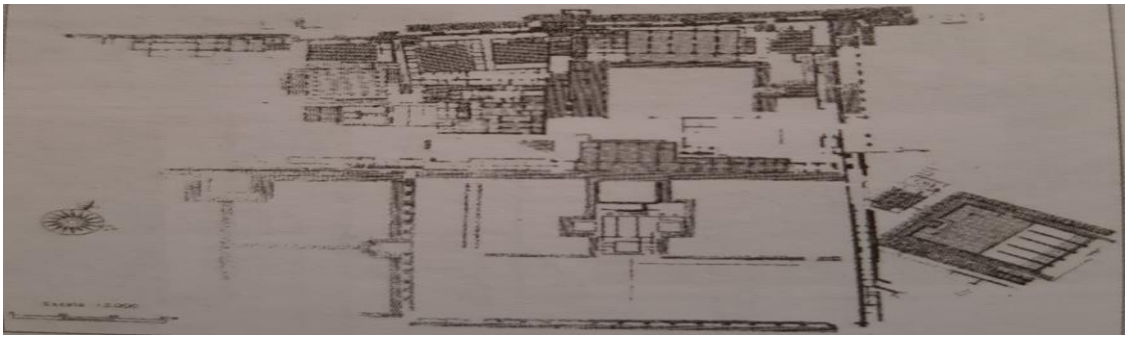

لوح – 2 – اجزاء المدينة خلال التنقيبات ومنها المسجد

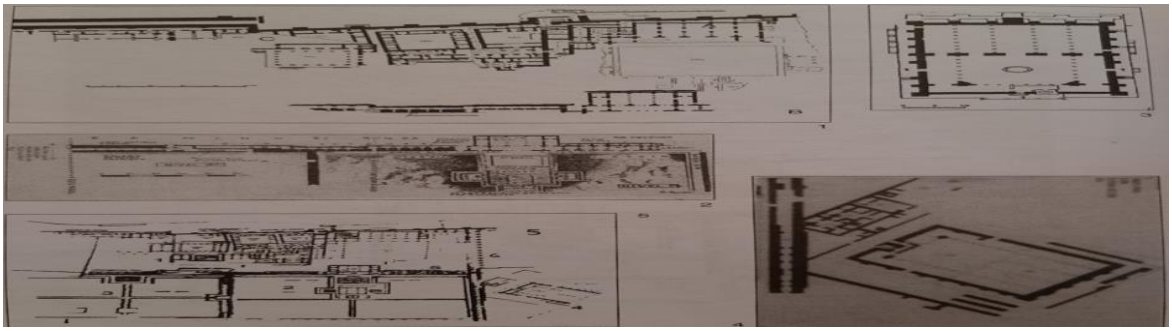

لوح – 3 – مراحل تنقيب المدينة والمسجد رقم 4

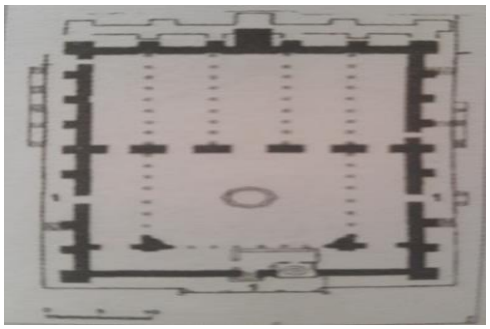

لوح – 4– مخطط المسجد

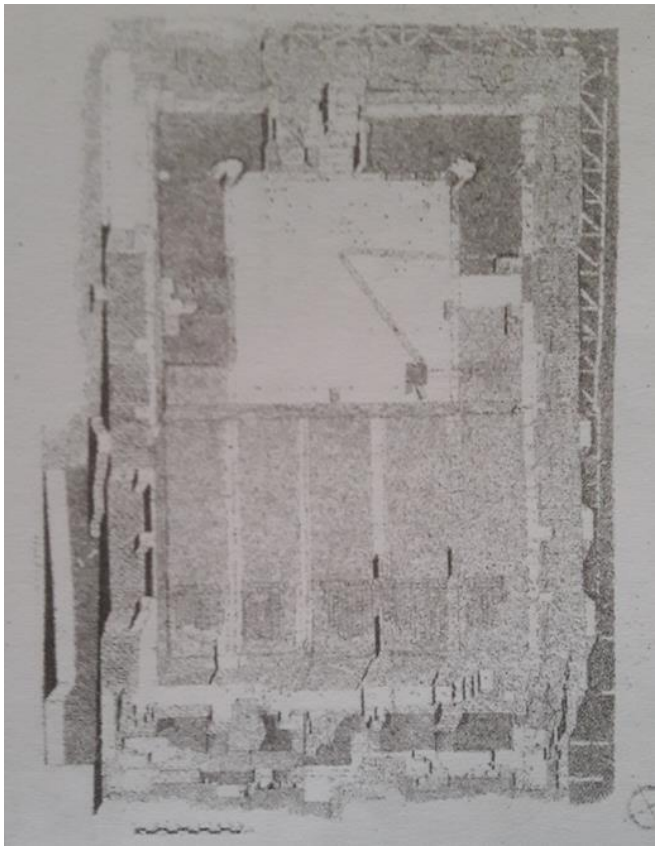

لوح –5– مخطط المسجد بعد التنقيبات

لوح – 6 – المسجد واجزاء اخرى من المدينة بعد التنقيب

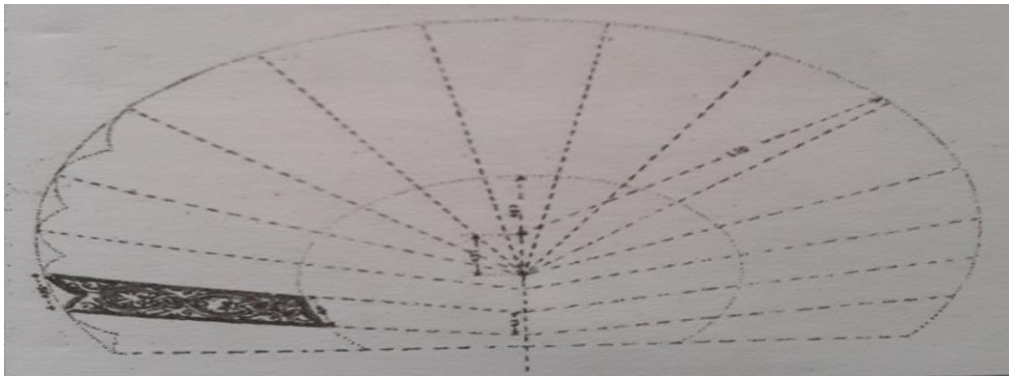

لوح – 7– عقد من بيت الصلاة

لوح – 8 – عقود بوائك الصحن

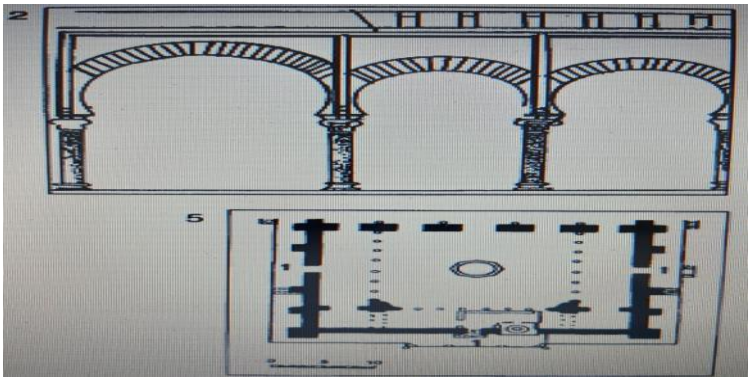

لوح – 9 – أعادة ترسيم عقود بلاطات الصحن

لوح – 10 – أ و ب – نماذج من تيجان اعمدة المسجد

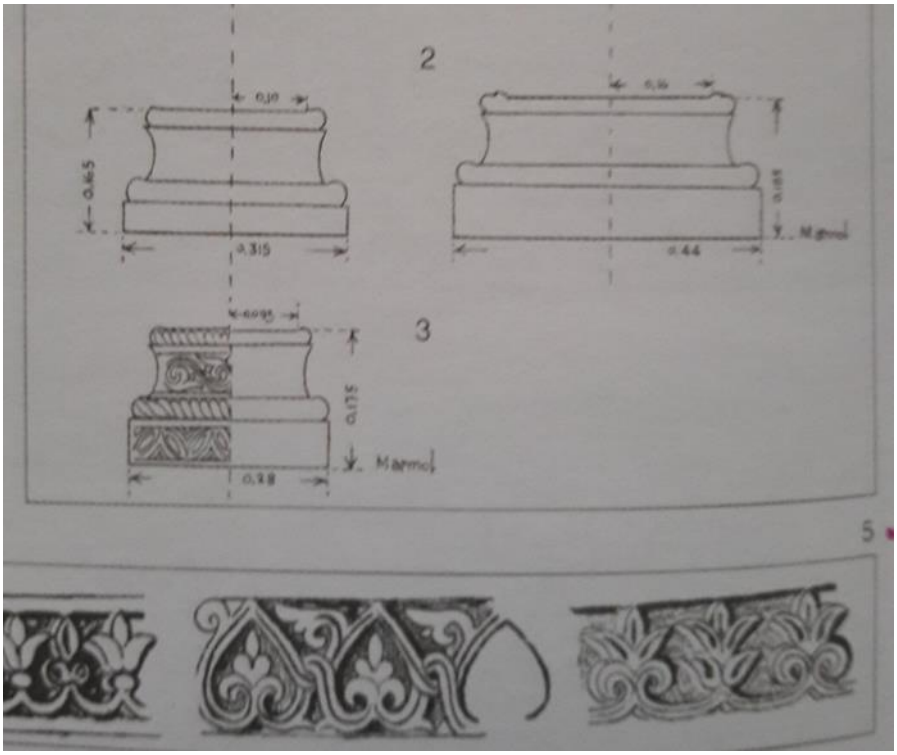

لوح – 11 – قواعد اعمدة في المسجد مع زخارفه

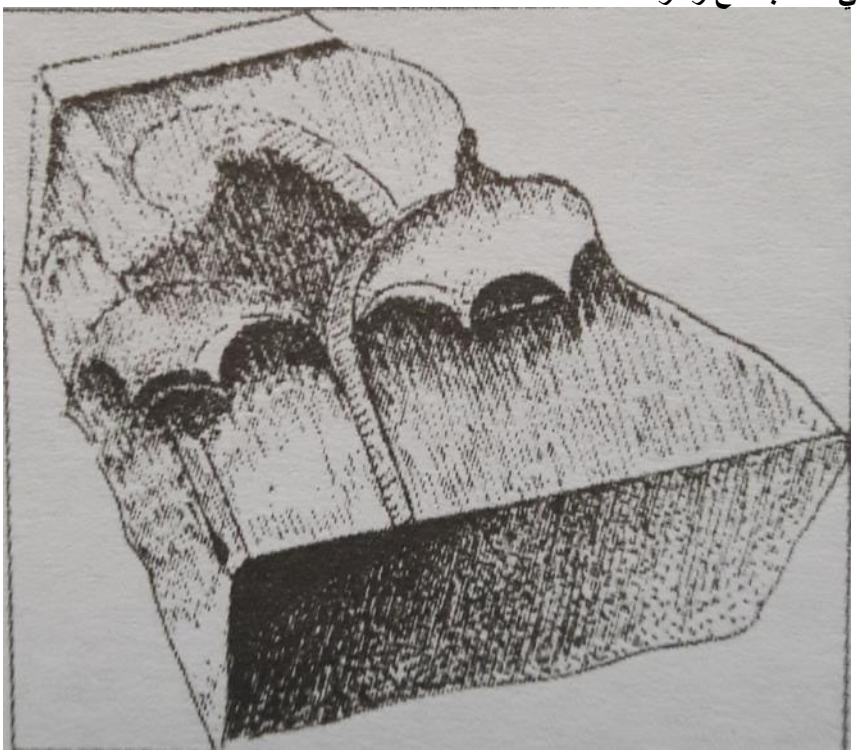

لوح – 12 – بقايا دعامة يعلوها تاج

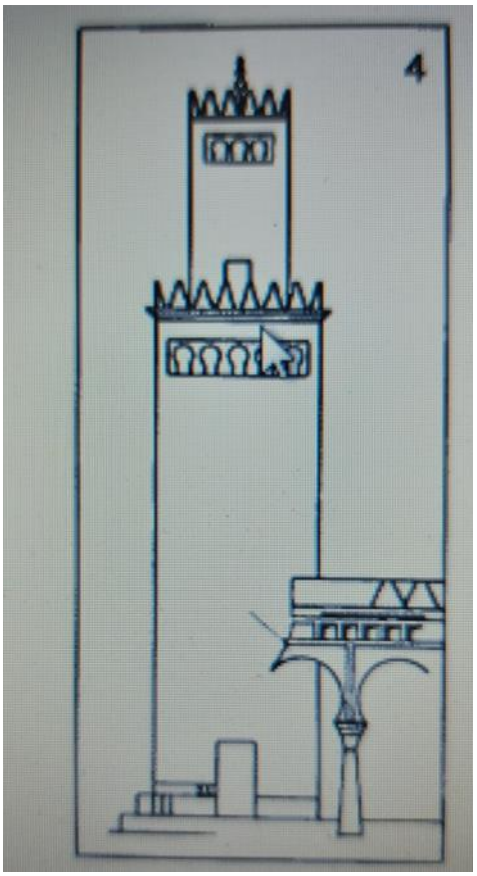

لوح – 13– اعادة ترسيم مأذنة المسجد

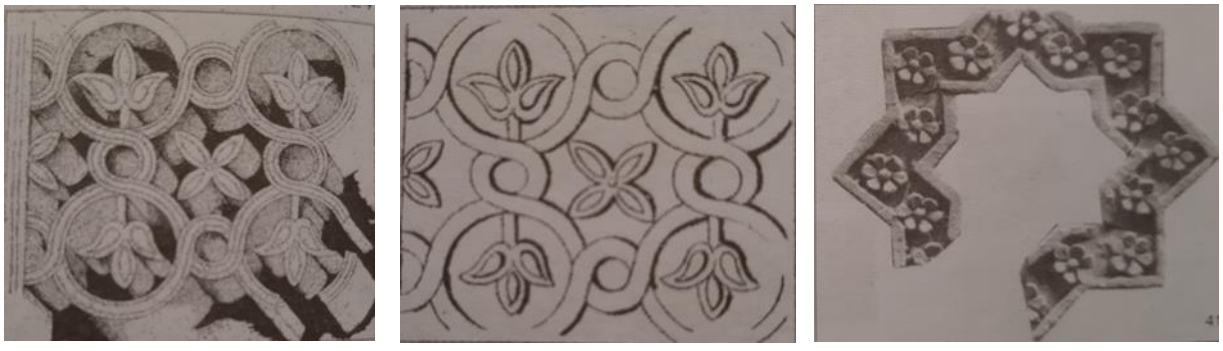

أ ب ج

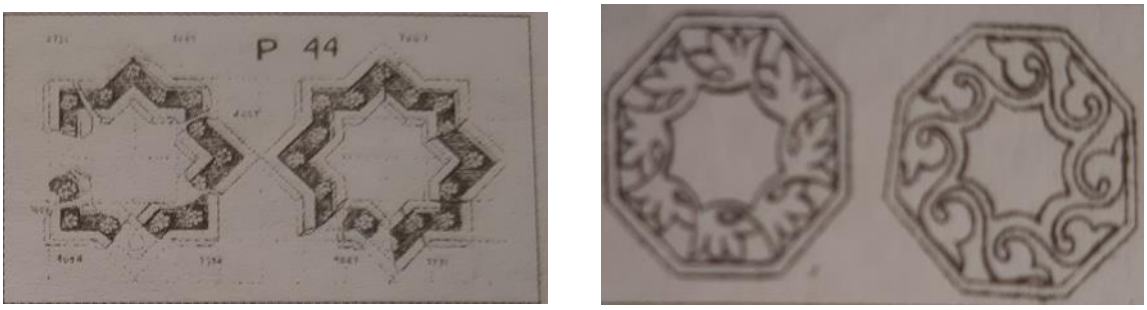

ع

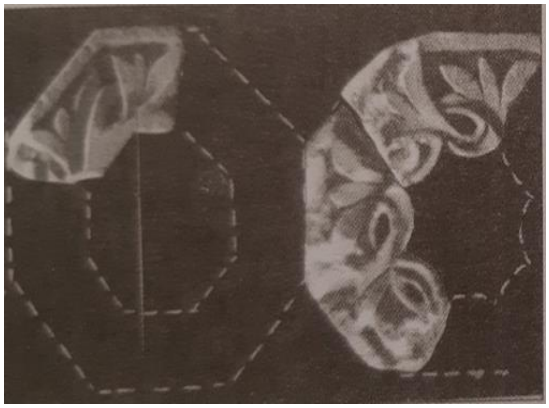

ق

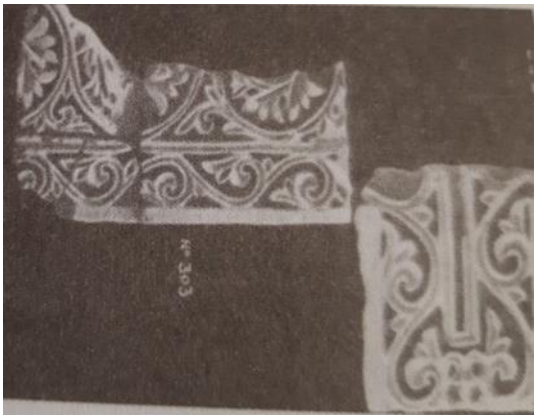

ك

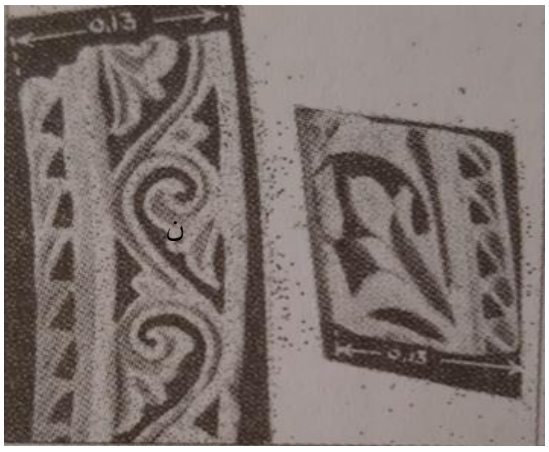

ل

لوح – 14 – التشكيلات الزخرفية الهندسية والنباتية

لوح – 15 أ و ب – الزخارف الكتابية

المصادر

1- ابن بسام، ابو الحسن علي، (ت 542هـ)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تح: أحسان عباس، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1979، ق1، مج1، ص110.

2- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن سعيد،(ت776هـ)، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح: محمد عبدالله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة،1981،ج1، ص23

3- ابن الرامي, ابو عبدالله محمد بن ابراهيم التونسي البنّاء, الإعلان بأحكام البنيان, تحقيق: عبد الرحمن بن صالح الأطرم, دار أشبيليه, الرياض 1995, ص 162.

4- ابن زكريا, احمد بن فارس(ت 395هـ): معجم مقايس اللغة, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, ط 1, مطبعة مصطفى البابي الحلبي, القاهرة, 1366هـ, 1946م، ص137.

5- ابن عذاري, ابو العباس احمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان وليفي بروفنسال، ط2، بيروت، دار الثقافة، 1980, ج2, ص213- 218.

6- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري المتوفى (711هـ)، لسان العرب المحيط، بيروت، دار صادر، الجزء الرابع، 1956، ص247.

7- الأصفهاني، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن العماد (ت 597 هـ / 1200 م), مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق صفوان عدنان داوودي، بيروت, ط1,1996, ص577.

8- البستاني، بطرس, محيط المحيط، بيروت, 1987م,ج 2, ص1437.

9- البكري،ابن عبد الله بن عبدالعزيز، (ت 487هـ)، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، بيروت، (د-ت)، ج1، ص24

10- الترمذي أبو عيسى، محمد بن عيسى؛ سنن الترمذي [الجامع الصحيح]، دار الفكر، بيروت، 1974، ص199.

11- تاريخ الاندلس, المؤلف مجهول, دراسة وتحقيق الدكتور عبد القادر ابو ديه, دار الكتب العلمية, بيروت لبنان, ص 1971م, ص 4.

12- الحموي, شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت, معجم البلدان, دار صادر, بيروت, 1957م, ج3, 161.

13- حسن, زكي محمد: فنون الإسلام – دار الكتب المصرية – 1937 – ص 234.

14- الجنابي، كاظم، حول الزخارف الهندسية الإسلامية، سومر، بغداد، ج (1-2)، م(34)، 1987. ص45.

15- سالم, عبد العزيز, قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس, دار النهضة, بيروت, 1971م, ج1, ص 251.

16- شاك, فان, الفن العربي في اسبانيا وصقلية, ترجمة الطاهر احمد مكي, دار المعارف, مصر 1980م ط1, ص 216.

17- شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر، المطبعة الثقافية، ج1، القاهرة، 1970، ص55

18- الشرقاوي, داليا احمد فؤاد, الزخارف الاسلامية والاستفادة منها في تطبيقات زخرفية معاصرة, جامعة حلوان, 2000م, ص 2.

19- عنان, محمد عبد الله، دولة الإسلام في الاندلس، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988, ج 438/2

20- فكري, احمد: قرطبة في العصر الاسلامي تاريخ وحضارة, مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر, الاسكندرية, 1983م, ص 213.

21- الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج2،مطبعة مصطفى البابي واولاده, 1957م ص272.

22- الكيالي، سامي، في الربوع الاندلسية، مكتبة الشرق، حلب،1968، ص106. وزيري، يحيى: العمارة الاسلامية والبيئة، مطابع السياسة، الكويت، 2004م, ج 2, ص49.

23- المقريزي: تقي الدين احمد بن علي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دار التحرير للطبع والنشر، نشر محمد مصطفى زيادة، القاهرة،،1967 ح2، ص246

24- مؤنس، حسين: المساجد عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص56. مرزوق, عبد العزيز: الفن الإسلامي في العصر الأيوبي – المكتبة الثقافية رقم 80 – ص 22.

25- مالدونادو, باسيليو بابون: العمارة الاسلامية في الاندلس, عمارة القصور, مجلد الاول, ترجمة علي ابراهيم, مراجعة, محمد حمزة, الطبعة الاولى, المركز القومي للترجمة, القاهرة, 2010م, ص 45, 61.